Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إشكالية الهوية العربية في مواجهة تحديات العولمة

أ/ محمود سمايلي - جامعة قسنطينة

أ/ سعيدة بن عمارة - جامعة سطيف

ملخص

لقد برز موضوع الهوية في زمننا الحالي بشكل ملفت حتى أصبح بمثابة التساؤل الحيوي الذي يطرح نفسه بإلحاح في عصر يتسم بالتحولات والتغيرات المتسارعة (العولمة) ، مما جعل معظم المجتمعات باختلاف انتماءاتها و خصوصيتها تواجه هذه الإشكالية.

و لعل من أكثر المجتمعات تأثرا بهذه الإشكالية المجتمع العربي لطبيعة تركيبته العقائدية والاجتماعية والثقافية ، حيث أصبحت هذه التحولات تمثل تحدي و تهديد حقيقي لأمن و مستقبل الهوية العربية ، ما يجعلنا نتساءل على مستقبل الهوية العربية في مواجهة تحديات العولمة .

L'émergence du sujet de l'identité dans notre temps devient une question vital dans un temps caractériser par plusieurs changement (mondialisation) , ce qui rend les sociétés dans leurs différences appartenances affrontent cette problématique .

Parmi ces sociétés les plus affecter par cette problématique la société arabe vus à la nature de sa structure sociale, culturelle et religieuse.

Ces changement représentent aujourd'hui un vrai défit et une menace réelle à la sécurité et l'avenir de l'identité arabe, ce qui nous pousse vraiment à se questionner sur l'avenir de l' l'identité arabe face au défit de la mondialisation.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

مقدمـــــة

إن إشكالية البحث عن الهوية ليست إلا أطروحة للتحول الحضاري والنهضة والبحث عن صياغة جديدة لتاريخ الأمم والشعوب، و قد كان البحث عن الهوية بمثابة الشغل الشاغل للإنسان على مر العصور، وغايته من ذلك هي صياغة نموذجه الحضاري ،و لا يصبح الإنسان باحثا عن هويته إلا في عصر التحولات و تغير النماذج الإرشادية الحاكمة و تبدل المسلمـــات و تميع الهويات (1)، وما دمنا نعيش في هذا العصر الذي يتسم بالتحـــولات والتغيرات المتســـارعة، فليس غريبا أن تكون مسألة الهوية في التساؤل الحيوي الذي يطرح نفسه بإلحاح في عصر العولمة و ذلك من اجل تأكيد الذات ، و لذا تعتبر إشكالية الهوية من اعقد المشكلات التي تواجه الكثير من الشعوب والمجتمعات الحديثة في العصر الراهن سواء في ذلك المجتمعات ذات الأصول الحضارية القديمة ، أو حتى تلك التي تفتقد الانتماء الحضاري القديم ، و ذلك لأن الهوية هي المفتاح التي يمكن للفرد عن طريقه التعرف إلى الآخرين باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة .

لقد شغلت العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية العالم كله ، وقد كان لها الأثر الكبير في التأثيرات التي تعرفها مختلف المجالات ولعل أبرزها مشكلات الهوية والتعددية الثقافية، و في ظل واقع تستغله الدول الكبرى التي تحاول أن تدفع بالعولمة كعملية تاريخية في اتجاه التبني القسري لأوضاع الدول بما يخدم مصالحها القومية (2)، و في هذا الإطار فهناك نزعة إلى الهيمنة الثقافية تجعل الهويات المختلفة والتي عادة ما تعبر على خصوصيات ثقافية راسخة نتيجة عمليات التراكم التاريخي في مواجهة مباشرة مع العولمة، والوطن العربي ليس بمنأى عن هذه التأثيرات التي تهدد امن هويته و تجعلها عرضة لمختلف المخاطر المترتبة عنها ، وهو ما يجعلنا نتساءل على مستقبل الهوية العربية في مواجهة تحديات العولمة ، وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي التوقف

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

عند مفهومي الهوية والعولمة مصطلحا وإشكالا، ومناقشة مختلف مراحل التشكل النظري لموضـــوع الهويـــة والعولمة، إلى جانب تحديد طبيعة الإشكالات والتحديات التي تواجهها الهوية العربية في عصر العولمة وفي الأخير الرؤية المستقبلية للهوية العربية في ظل هذه التحديات .

1- مفهوم الهوية

لقد طرح العديد من المفكرين والباحثين عدة تعريفات لمصطلح الهوية ، وان كان الاهتمام بهذا المصطلح ليس بالحديث لكونه برز قديما مع ظهور البوادر الأولى للنهضة الأوروبية، أما في البلاد العربية فقد عرفت هذا المفهوم مع الحملة الأوروبية الاستعمارية، لذا فمن الصعوبة أن نجد تعريفا واحدا محددا لها ،فتعريفات الهوية تختلف في بعض الأحيان وتتقارب في أحيان كثيرة. و قبل الخوض في هذا الموضوع ينبغي الإشارة إلى طبيعة هذا المفهوم حتى تتضح الرؤية أكثر.

1-1- التعريف اللغوي والفلسفي:

حاول الدكتور محمد عمارة تقديم تصور شامل لمفهوم الهوية لغة واصطلاحا مستعينا بالمعاجم القديمة والحديثة ، فـــقال فـــي هـــذا الصدد : إن " الهـــوية " بضم الهاء- مصطلح اســـتعمله العرب والمسلمون القدماء و هو منسوب إلى " هو" و هذه النسبة تشير إلى ما يحمله من مضمون .

و يعرف المعجم الوسيط الهوية بأنها : "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره ، أما المنظور الفلسفي لمصطلح "الهو" بوصفها مكونة "من خصائص الشيء، أو الشَّخص، المطلقة ، المشتملة على صفاته الجوهرية التي تجعله مميزاً عن غيره تَمَيُّزاً يُكسبه فردانيته وخصوصيته، ويُحدِّد الصُّورة التي يحملها

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

في نفسه عن نفسه، والتي ستؤثِّر، بطريقة أو بأخرى، في تحديد المنظور الذي سيعتمده لإحالة ذاته إحالةً موضوعيةً في العالم، والذي سيُطلُّ من خلاله على الآخرين ليرسم الصُّورة التي سيكونها في نفسه، ولنفسه عنهم. أما قاموس أكسفورد فانه يعرف الهوية بوصفها :" حالة الكينونة المتطابقة بأحكام، أو المتماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق" (3)، إذا فإن المفهوم اللغوي للهوية يتعلق بالتطابق الموجود ما بين باطن الشيء و ظاهره .

1-2- مفهوم الهوية :

لقد عرف مفهوم الهوية تطورا تاريخيا بحسب خصائص المرحلة التي وجد فيها، وظهور المفهوم كان بداية في كتابات الفيلسوف والمؤرخ الألماني الاجتماعي "فلهام دلتاي" وقد جعله ماكس فيبر على مستويين يتعلق أولهما بما يطلق عليه دلتاي اسم الصورة الكونية التي تؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلمات الافتراضية عن العالم الحقيقي الواقعي، التي يمكن في ضوئها وبالإشارة إليها يمكن الوصول إلى إجابات شافية حول مغزى الكون والوجود. أما المستوى الثاني فيتعلق بالسياق التصوري الواعي والإرادي الذي تضع فيه الذات الجمعيـــة نفسها ضمن تقسيمـــات العالم الواقعيـــة أوالمركبة من النواحي الثقافية في الأصل، لكن أيضا من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والثقافية(4).

هذا وقد كان لعالم النفس إ. اريكسون دور مهم في انتشـــار استخدام هذا المفهوم بفعـــل الدراســـات والأبحاث التي قام بها داخل المحميات الهندية من خلال دراسة قبائل الهنود التي تقطن بالمناطق الجنوبية والشمالية للولايات المتحدة الأمريكية ، حيث كان الاجتثاث الثقافي لهؤلاء الهنود المعرضين لموجة الحداثة فخلص في دراسته التي جاءت في كتابه "طفولة و مجتمع" إلى اعتبار أن الهوية الشخصية تتطور طوال وجودها عبر ثمانية مراحل تقابلها ثمانية أعمار في

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

دورة الحياة وازمة الهوية حسب اريكسون تتطابق مع تحول يقع في مسيرة تطور الهوية (5)، وهذا المصطلح الذي أشار إليه يقابله مصطلح إشكالية الهوية اليوم.

أما مدلول مصطلح الهوية في العلوم الإنسانية والاجتماعية فقد انتشر و تطور باستعماله لمفاهيم مشابهة له كمفهوم التكنه الذي ارتبط بعلم الاجتماع عبر نظرية الأدوار و نظرية " الجماعة المرجعية" حيث فسره "نيلسون فوت" على انه استعارة الفرد الواحد لهوية واحدة أو لسلسلة من الهويات ، والتكنه حسبه هو السيرورة التي تمكن من فهم لماذا نبحث عن القيام بدور ما، أما نظرية مجتمع المرجعية فهي ترى بأن "الجماعة هي التي تحدد للفرد هويته عبرها وفي إطارها يستعير قيمها و معاييرها بدون أن يكون بالضرورة عضوا فيها." وقد كان لهذا المفهوم أهمية حاسمة في علم اجتماع بواسطة مدرسة التفاعلية الرمزية لاهتمامها بالطريقة التي تتشكل عبرها التفاعلات الاجتماعية وكيفية بناء الأنساق الرمزية المشتركة ووعي الفرد بنفسه و هذا يعتبر بحثا في صميم إشكالية الهوية (6).

إذا فانتشار كلمة الهوية و توسع استخدامها في علم اجتماع بالولايات المتحدة الأمريكية كان في الستينات ، حتى أصبح من المستحيل كما قال " كليزون" أن نحدد المعنى الدقيق لاستخدامات هذا المفهوم ، كما أن الوضع السياسي بأمريكا ساهم هو الأخر في ترسيخ اصطلاح الهوية و فرضه على لغة الإعلام و على التحليل الاجتماعي والسياسي بفعل الحركات التي عرفتها الأقليات الأمريكية المطالبة بالاعتراف بخصوصيتها والتي كانت بمثابة صحوة هوية حقيقية في سنوات السبعينات حسب ما أشار إليه عالم الاجتماع الأمريكي روجر بروباكر وواصل المصطلح انتشاره في فترة الثمانينات والتسعينات بحيث أصبح من غير الممكن تجاوز هذا المفهوم لا في الأبحاث المتعلقة بالهجرة و لا بتلك

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المتعلقة بالمسألة القومية والدين و دراسات النوع و غيرها (7)، بفعل الحداثة المتقدمة كما اسماها انوطوني جيدنز، فالناس في هذا الزمان أصبحوا يتساءلون عن كل شيء مما جعل سلوكهم مترددا باستمرار، وفي هذا يوجد مفتاح الهوية بالنسبة "لجوفمان" الذي يرى بأن "الفكر المسؤول يندرج ضمن منطق الانفتاح فهو يحطم اليقينيات ويشكك فيما اعتبر مكسبا نهائيا ،على خلاف لا تكـف الهوية عن جمع الشظـايا وتركيبها، فهـي نسق مستقـر يحفظ المعنى ويسيجه ، ونموذجها هو الكلية " (8).

أما في البلاد العربية فإن مفهوم الهوية ظهر متأخرا مقارنة بالدول الغربية ، إلا أن ظهور سؤال الهوية على سطح الجدل والوعي العربي الإسلامي قد برز مع حماة جدل النهضة والتخلف ذاته، ومع تفجر الحديث عن المرجعية التشريعية والقيمية منذ حكم الخديوي إسماعيل في مصر، وإقرار نظام الحكم العثماني سنة 1875، وتواتر الحديث عن الرابطة والجامعة السياسية منذ أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، هل هي رابطة وطنية أم شرقية أم إسلامية... إلخ وإن كان المفهوم قد صيغ في شكل سؤال أساسي يدور حول التخلف والتقدم (لماذا تخلفنا و تقدم غيرنا؟) ، بحيث كان يبحث عن العلة والسبب و قد دار هذا السؤال الرئيسي حول ثلاث أسئلة فرعية :

1- هل ينبغي طرح الحداثة الغربية كنموذج بحيث نتقبله و نلازمه خاصة بعد أن أصبح تفوق الحضارة الغربية والاستعمار واقعا لا يمكن إنكاره، وهو السؤال الذي نشط مفهوم الهوية كتعبير عن الخصوصية.

2- الجدل القائم حول دوائر الانتماء الثقافية والجغرافية المختلفة من الانتماء الإسلامي إلى الانتماء الوطني والقومي العربي في أوائل القرن العشرين إلى المشرقية والمغربية وإلى المتوسطية والإفريقية في أواخر

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

القرن العشرين، وهذا ما زاد الهوية تساؤلا بسب عدم الحسم في هذا الانتماء.

3- بروز ما يسمى بعنصر القومية دوليا وعربيا ، ومحاولة لإبراز الدولة الوطنية كطريق للوحدة (**state Nation**) خاصة التطور اللغوي والثقافي باعتبارها بمثابة حل لمسألة التنوع الديني ، إلا أن هذه الوضعيـــة قد تفجـــر مسألة التنـــوع العرقي كمسألة البربريـــة في المغرب العربي والسودان والطائفية في لبنان والعراق .

ومن هنا يمكن القول أن مفهوم الهوية **Idendity** في مدلوله الحديث لا يخرج عن التشخص والشخصية وهو ما قال به ابن حزم بأنه: "هو كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر". وهو ما التمسه الأستاذ جميل صليبا حين عرفها بأنها "المميز عن الأغيار". وهي تستخدم بمعنى الهيئة، والأوصاف الظاهرة، ويأتي مقابلا لها الأوصاف النفسية والجوهر. وفي اتجاه المقابلة بينها وبين الغيرية حددها الدكتور جميل صليبا بتحديدها على أنها "المميز عن الأغيار" (9).

إن مفهوم الهوية كما سبق إيضاحه قد عرف صعودا قويا بفعل الصراع الدولي والثقافي الذي عرفته المجتمعات البشرية إلى جانب الدراسات التي قدمت في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، و هذا ما أوضحه المؤرخ الفرد كروسر بقوله :"إن القليل من المفاهيم هي التي حظيت بالتضخم والاهتمام الذي عرفه مفهوم الهوية، حيث أصبحت الهوية شعارًا طوطميا وأصبح بديهيا أن يحل كل الإشكاليات المطروحة، فصرنا نسمع عن خطاب الهوية، أي تلك الخطابات التي تقوم في أسسها الفكرية على تصور خاص للهوية، يمكن التمثيل لها بالتيارات القطرية والقومية والوحدوية والإسلامية، كما نسمع عن سياسات الهوية أي

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

السياسات التي تمثل الهوية مصدرا لشرعيتها وسندا لها كحقوق الأقليات في تقرير مصيرها أوالصراعات الأهلية وسلطات الحكم الذاتي... إلخ (10).

والهوية تتحقق في مجال الاتصال بالآخرين، حتى يصح القول إن هوية الفرد الواحد تتبدل حسب اتصالاته ومواقفه ومواقعه المختلفة؛ فالهوية معطى من الآخرين وانعكاس ظاهر وكامن لمواقفنا منهم وردود فعلنا عليهم، فهي رغم ثباتها فإنها صيرورة في التاريخ كذلك.

إذا فمفهوم الهوية تصاعد مع الاستقطاب الحضاري بين الغرب والآخرين في ظل الحرب على الإرهاب، وانتشار وتناول دعاوى الحوار الحضاري حيث تترادف الهوية فيه مع الثقافة كمنظور ورؤية للعالم. ومن هنـــا نستطيع القول إن الهويـــة الحضاريـــة لأمـــة من الأمم، هي القـــدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة من غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات القومية الأخرى (11).

2- مفهوم العولمـــــة

لقد عرف الفكر الإنساني في أواخر القرن الماضي سلسلة متلاحقة من المصطلحات الجديدة في السياسة والاقتصاد والفكر والدين بصورة جعلت العقل الإنساني يجد صعوبة في التأمل والتمعن فيها مما صعب عليه تفكيكها واستيعابها، و قد كان مصطلح العولمة واحدا من أحدث المصطلحات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية المعاصرة والذي كان محور اهتمام العديد من الباحثين والمفكرين محاولين وضع و تحديد معنى لهذا المصطلح، فبالرغم من

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

هذه المحاولات إلا أن المفهوم ما يزال يحمل قدرا كبيرا من الغموض باعتباره موضوع شائك ونقطة خلافية بين الكثيرين و قضية مثيرة للجدل في شتى أنحاء العالم ، ولعل مرد هذا الاختلاف كما يراه البعض لسعة المدلولات التي تعبر عنها الكلمة والخلط بين المفاهيم المشابهة له مثل الكوكبية، والعالمية الدولية ..... .الخ.

2 - 1:العولمة لغويا واصطلاحيا:

يعني تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله . يقول عبد الصبور شاهين عضو مجمع اللغة العربية " العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي ... وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة ، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل.

أما اصطلاحا فتعرف على أنها ظاهرة تتدخل فيها أمور السيـــاسة والاقتصاد والسلـــوك والثـــقافة والاجتماع، وعلى الراغب في الانسجام في تلك المنظومة أن يقوم بعملية تكييف لاتجاهاته ونمط تفكيره مع قيم و طريقة التفكير التي تتطلبها تفاعلات العولمة (12).

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

2-2- تطور مفهوم العولمة:

إن تطور مفهوم العولمة شأنه شأن مصطلح الهوية ، فبالرغم من حداثته كمصطلح إلا أن امتداداته قديمة باعتباره عملية تاريخية جذرية مرت بعدة مراحل ترجع إلى بداية القرن الخامس عشر زمن نشأة المجتمعات القومية حيث برز بظهور ظاهرة الدولة القومية في أوروبا محل الإقطاعية واتساع رقعة السوق. ويشير بعض الباحثين إلى إن نشأة العولمة كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين إلا أنها عرفت تناميا سريعا في السنوات الأخيرة، و هذا ما أشار إليه إسماعيل صبري بقوله " إن ظاهرة الكوكبية (العولمة)كما يسميها نشأت و تنامت في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهي حالياً في أوج الحركة فلا يكاد يمر يوم واحد دون أن نسمع أو نقرأ عن اندماج شركات كبرى ،أو انتزاع شركة السيطرة على شركة ثانية. " فهو يتفق في ذلك مع جورج طرابيشي لما اعتبر" العولمـــة ظاهـــرة تاريخية لنهاية القرن العشرين و بداية القرن الحـــادي والعشرين "(13).

كما كان للخطاب السياسي الغربي دور في بروز هذا المصطلح من خلال التحريض على إقامة حكومة عالمية أو نظام عالمي مالي موحد والتخلص من سيادة القومية حيث تجلت هذه المطالب في خطاب هتلر أمام الرايخ الثالث في قوله " سوف تستخدم الاشتراكية الدولية ثورتها لإقامة نظام عالمي جديد" وهذا ما تضمنه إعلان حقوق الإنسان الثاني سنة 1973 في إشارته لتقسيم الجنس البشري على أسس قومية حيث يورد في إحدى فقراته: " لقد وصلنا إلى نقطة تحول في التاريخ البشري حيث يكون أحسن اختيار هو تجاوز حدود السياسة القومية ، والتحرك نحو بناء نظام عالمي مبني على أساس إقامة حكومة فيدرالية تتخطى الحدود القومية"، وقد تبلورت فكرة العولمة قديما أيضا عندما اقترحت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر فكرة العولمة كوجهة نظر اقتصادية

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

التي عرفت باسم "التاتشرية " حيث تهدف هذه الفكرة إلى جعل الغني أغنى والفقير أفقر وهكذا فقد تطور هذا المفهوم إلى ما هو عليه اليوم (14) .

عند تفحص الأدبيات التي تناولت مصطلح العولمة نلاحظ أنها أفرزت اتجاهين أساسين:

-**الاتجاه الأول**: العولمة باعتبارها غزو ثقافي و شكل أخر لاستعمار جديد للعالم ، من قبل دول عظمى تسعى لتعميم النموذج الغربي و من أهم التعاريف التي أخذت بهذا الاتجاه تعريف عابد الجابري حيث يقول في مقاله"العولمة والهوية الثقافية": هي"ما بعد الاستعمار وانها مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي يعكس إرادة الهيمنة على العالم حيث يرى أنها بهذا الشكل تعمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع"(15).

إذا فهي بهذا التعريف تكون العولمة دعوة إلى تبنى إيديولوجية معينة تعبر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم .

أما صادق جلال العظم ففي مقاله "ما العولمة ؟" يقول بأن العولمة هي عقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها و في ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ " (16).

وقد رأى محمد الأطرش"أن العولمة تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة ، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق ، وبالتالي خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة ، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات ". أما المفكر برهان غليون فيرى أن العولمة تتجسد

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

في نشوء شبكات اتصال عالمية تربط جميع الاقتصاديات والبلدان والمجتمعات و تخضعها لحركة واحدة "(17).

من خلال ما سبق يتضح أن تعريفات هذا الاتجاه تركز في مفهومها للعولمة على صياغة إيديولوجية للحضارة الغربية من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم أجمع باستخدام الوسائل العلمية، والشركات الرأسمالية الكبرى لتطبيق هذه الحضارة وتعميمها على العالم.

أما الاتجاه الثاني: فيرى على أنها تغير اجتماعي نحو الأفضل، والسبيل الأوحد للإنسانية للتخلص من مخلفات القطبية الثنائية من خلال انفتاح العالم على بعضه البعض وانتشار المعرفة والتطور التكنولوجي وزيادة الترابط والتوازن بين المجتمعات عن طريق التبادل الثقافي والتجاري. ومن أهم التعاريف التي تبنت هذا الاتجاه تعريف "جيمس روزناو" الذي حدد ثلاث أبعاد في تعريفه للعولمة أولها يتعلق بانتشار المعلومات على نطاق واسع، وثانيها تذويب الحدود بين الدول، أما البعد الثالث فيتمثل في زيادة معدلات التماثل بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات " (18).

وعرفها بعضهم بأنها" : الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبياً كرة اجتماعية بلا حدود . أي أن الحدود الجغرافية لا يعتبر بها حيث يصبح العالم أكثر اتصالا مما يجعل الحياة الاجتماعية متداخلة بين الأمم " ،هذا و قد تبنى صندوق النقد الدولي التعريف التالي بوصفها"التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتّمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله" . أما الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والنمو يعرفها بأنها": العملية التي تملي على المنتجين والمستثمرين التصرف وكأن الاقتصاد

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

العالمي يتكون من سوق واحدة ومنطقة إنتاج واحدة مقسمة إلى مناطق اقتصادية وليس إلى اقتصاديات وطنية مرتبطة بعلاقات تجارية واستثمارية".

أما "إسماعيل صبري" فيعرفها بأنها هي" التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية .(19)

من خلال التعريفات السابقة للعولمة يتضح أنها تركز على النواحي التجارية والاقتصادية التي تتجاوز حدود الدولة مما يتضمن زوال سيادة الدولة ، حيث أن كل عامل من عوامل الإنتاج تقريباً ينتقل بدون جهد من إجراءات تصدير واستيراد أو حواجز جمركية ، فهي سوق عولمة واحدة لا أحد يسيطر عليها كشبكة الانترنت العالمية.

بشكل عام يمكننا القول أن هناك ثلاث جوانب أساسية في تعريف العولمة باعتبارها ظاهرة اقتصادية، وهيمنة القيم الأمريكية ،واخيرا بوصفها ثورة تكنولوجية واجتماعية .

3- التشكل النظري والفكري لموضوع الهوية والعولمة:

إن بدايات التشكل النظري والفكري لموضوع الهوية والعولمة برز لأول مرة مع المفكر مانويل كاستلر من خلال مرجعه المتعلق بمجتمع المعلومات العالمي والذي تناول في جزئه المتعلق "بالمجتمع الشبكي " الملامح الأساسية للمجتمع العالمي الجديد من زاوية بنيته السياسية والاقتصادية والاتصالية، فيما تناول في جزئه الثاني المتعلق "بقوة الهوية " مختلف أنواع الهويات **Identity** والتي عبرت عن نفسها في مواجهة العولمة .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

كما شكلت أطروحة عالم السياسة الأمريكي صمويل هينغتون عن "صراع الحضارات" ميدانا خصبا للصراع الفكري العالمي حول موضوع الهوية والعولمة ، والذي كان يرى من خلاله بأن "الحضارة الغربية سوف تدخل في حالة صراع مع بقية الحضارات الأخرى ، و عليها أن تستعد لذلك باتخاذها الاحتياطات اللازمة و توفير الشروط الضرورية لحسم هذا الصراع لصالحها ". وأصل الصراع حسبه سيقوم على الهوية الثقافية وخصوصياتها ومبدئي التناقض والاختلاف بينهما. حيث يقول "أن غربا في أوج قوته يواجه كيانات لا ترغب في تشكيـــل العالم بطريقة غير غربية ، و لديـــها الإرادة والإمكانيات للقيام بذلك ." عموما إن رؤية هينغتون تقوم أساسا على تمحور السياسات العالمية حول النزاع بين الغرب و بقية العالم **The west and the rest**، و ردود الحضارات غير الغربية على القوة والقيم الغربية (20).

كما برزت مؤلفات ساهمت هي الأخرى في تشكل هذا الصراع كـــكتاب "نهايـــة التاريخ " لـــفوكاياما و كتاب "صعود وهبوط الإمبراطوريات " لبول كيندي ، وكتاب" الموجة التالية " لتوفلر وجميعها كانت اتجاهاتها تصب في سياق المشروع الفكري للدول المتقدمة في فهمها للعولمة والكوكبية الاقتصادية وذلك باستكشاف أفاقها و فرصها و تحدياتها و مساراتها المستقبلية.

وفي مقابل هذه الرؤية برزت عدة كتابات وأراء مدافعة على الهوية الوطنية للشعوب في مواجهة أفكار العولمة ورافضة في نفس الوقت فكرة هينغتون، حيث وقفت أطروحة الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي الذي دعا في خطاب ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى حوار الحضارات والذي لقي موافقة الجميع واصدرت بشأنه الأمم المتحدة قرارا يعتبر فيه عام 2001 عام حوار الحضارات.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

هذا و قد كان لكتاب " العولمة والجنوب " لكرولين طوماس و بيتر ولكين دور في كشف الوجه الخفي للعولمة باعتبارها آلية لتكريس الفوارق بين الشمال المتخم بالغنى والجنوب الذي يعاني من الفقر المدقع ، كما أبرزت الكاتبة فيفيان فورستر صورة متشائمة عن العولمة في كتابها "الرعب الاقتصادي " حيث عرضت السؤال الأتي : ما الذي يحصل عندما نعلم أنه ليس ثمة أزمات ، بل مجرد تبدل و تحول يقودان مجتمعا بأكمله ، بل و حتى حضارة بأكملها إلى المجهول (21).

تأسيسا على ما سبق يمكن تحديد ثلاث عوامل أساسية ساهمت بشكل أكبر في تشكل هذا الموضوع:

1- الصراع الايديلوجي الفكري:

إن بروز أفكار واتجاهات ايديلوجية في صورة تشكيلات وتعابير عن الهويات كرد فعل للعولمة التي تريد أن تفرض مقاييس موحدة على العالم و بغض النظر عن المراحل التاريخية والاجتماعية للدول الأخرى ، أو بتجاهل ثقافاتها المختلفة وهذه التعابير الثقافية عن الهويات الجماعية ستتجسد في صورة حركات ذات طابع ديني أو قومي أو عرقي في مواجهة هذه الأفكار ، و هذا ما شهده العالم في السنوات الأخيرة من موجات متعددة لهذه الحركات والتي حملت عدة تعبيرات مختلفة تسعى إلى تحدي العولمة كتعبير على هويتها و خصوصيتها الثقافية .

2- تطور منظومة الإعلام والاتصال العالمية:

شكلت وسائل الإعلام والاتصال التي استخدمتها العولمة في التعبير عن قيمها وافكارها موجة حادة في الصراع بينها و بين الهوية ، خاصة في ضوء انتشار وسائل الاتصال الحديثة كالانترنت التي أصبحت بمثابة الأداة الفعالة التي تلجأ

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إليها الدول الكبرى في إيصال قيمها وافكارها بحكم سيطرتها على مجالات استخداماتها و تحكمها في مصادر صناعة و تقديم المعلومات بالشكل الذي يوافق مصالحها و يخدم قيمها ، و قد كان لتطور هذه الوسائل بروز شبكات عالمية مثل حرب الشبكات **Netwar** التي استخدمت كأداة في شن حملات إعلامية واسعة لصالح العولمة و قد كان تأثيرها باديا في الميادين العسكرية في حرب العراق، واقتصاديا ضد الصين ، وإعلاميا في مواجهة المد الإسلامي . فقد أصبح النظام الإعلامي العالمي بوسائله السياسية والاقتصادية والثقافية يؤثر بشكل مباشر على قيم وعادات وأساليب حياة الشعوب التي تنتمي إلى ثقافات متنوعة .

3- التطور التكنولوجي والمعرفي:

تعد ثورة تكنولوجيا المعلومات من أهم العوامل التي ساهمت في تغذية الصراع بين العولمة والهوية والذي أدى إلى ظهور صيغة جديدة للمجتمع العالمي أطلق عليه اسم" المجتمع الشبكي " ثقافته تستمد مسلماتها من عالم افتراضي **Virtual** ونسق إعلامي يتسم بنفاذه إلى إرجاء الكون بحيث تكون وحداته متصلة فيما بينها اتصالا وثيقا.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

4- إشكالية الهوية العربية و تحديات العولمة .

إن الهوية بتداخلاتها الانتربولوجية والسوسيولوجية والسياسية والثقافية سواء أكانت ثقافية أم قومية أم هوية أثنية تشكل مفهوما مكونا من التداخلات المعرفية المحكومة بالمتن الاجتماعي و بالصيرورة التاريخية، ومن الصعب الانفكاك منهما .

إن مسألة الهوية في الوطن العربي قديمة لارتباطها بالخطاب القومي الذي ساد إبان مرحلة التحرر من الاستعمار ، فما هي عند بعض الباحثين العرب إلا شكل جديد للقومية يعبر عن نفسه بتعابير التناقض الإيديولوجي ، فالشعوب التي كانت مستعمرة تعاني في الواقع الحالي عواقب عصرنة تهدد القيم الخاصة التي بني عليها سابقا الإجماع ضد المستعمر.

فالإشكال المطروح في المجتمعات العربية لدى العديد من الباحثين هو لماذا كثر الكلام عن الهوية في هذا الوقت بالذات من أي وقت مضى ؟ و لماذا باتت الهويات مهددة ؟ و لماذا انطلقت موجة المطالبة لبعض الأقليات في البلاد العربية بهويتها ؟

إن الجواب عن هذه الأسئلة يرتبط من دون شك بتداعيات أفكار و قيم الحداثة المصاحبة للعولمة لكون خطاب الهوية أصبح يطرح نفسه بوصفه خصوصية، وعلى هذه القوميات أن تعترف بها و تحافظ عليها وان لا تهددها مستغلة حركة العولمة والياتها الرامية إلى إزالة الحواجز بين المجتمعات المصحوبة باحتدام وتأجج الهويات الخاصة سواء أكانت عقائدية أو قومية أو عرقية .

إن سياسة العولمة في هذا المجال تستهدف الهويات القومية و مقوماتها الرئيسية و قد ساهمت عوامل عدة في إذكاء الطابع العدائي للعولمة اتجاه بعض

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الهويات القومية المختلفة سواء كانت عربية أواجنبية مصنفة إياها في خانة الدول المارقة كما عبر عنها هينغتون لأنها تقف في وجه تطور قيم الرأسمالية (22).

كما أن الاهتزاز الذي أصاب الهوية العربية نتيجة تغير الأدوار التقليدية للنخب الاجتماعية المناهضة للفكر الاستعماري الرأسمالي إلى نخب تتبنى فكر اندماجي ساهم في إضعاف و تماسك هوية المجتمع العربي ، وأدى إلى بروز تيارات فكرية وايديولوجية ذات طابع ديني و عرقي متطرف مناهضة لمفهوم الدولة القومية(23) مهـد بدوره الطريق أمام الدول الكبـرى بأن تشن حملة إعلاميـة ثقافيـة و سياسية واقتصادية شاملة لمحاربة هذه التيارات، وان كانت حقيقة هذه الحملة موجهة نحو الهـوية العربية بالأساس وهو ما يجعل مسألة الهوية ترتبط ثقافيا و سياسيا واقتصاديا بآليات العولمة، وقد تبلورت أهداف هذه الأفكار خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر في صورة مبادرات و تقارير و مشاريع موجهة نحوالوطن العربي متهمة دينه وتقاليده ونظم تعليمه بأنها مصدر للإرهاب، وأنها بيئات تولد نوازع العنف والاعتداء على الغير وأصدرت التقارير والإشارات لتغيير مناهجنا العربية" (24).

فالولايات المتحدة الأمريكية أعلنت في إطار هذه المشاريع بأنها ستعمل على نشر القيم والسلوك الأمريكي في العالم كله في إطار ما يسمى محاربة العدو خارج حدود الدولة الأمريكية في إطار حربها على الإرهاب ، وهو ما يفتح باب الغزو للشعـوب وعقائدها وثقافتـها فالعولمة بالرغـم من الصيغة الاقتصاديـة لها فإنها تعمـل من اجل أهـداف أخرى تطـال ثـقافـة الشعوب و هويتها القوميـة والوطنيـة ومصالحها و خصوصياتها بتعميم نماذج وانماط من السلوك و منظومات من القيم و طرائق التفكير و قد أشار الجابري

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

في هذا الصدد إلى مجموعة من الخصائص التي تحملها العولمة بحكم طبيعتها ثقافة الاختراق لكونها تقوم على جملة أوهام ، تهدف إلى التطبيع مع الهيمنة، وتكريس الاستتباع الحضاري، فهي تتولى القيام بتسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم، من خلال: غرس "وهم الفردية" لتضيق خناق الفرد داخل أسوار نفسه. وغرس "وهم الخيار الشخصي" لتكريس النـــزعة الأنانية، وغرس "وهم الحياد" لتكريس التحلل وعدم الارتباط بأي قضية. وهي كلها أوهام تجعل الفرد قابلا للاستعمار كما يقول مالك بن نبي. كما أنها تعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، وتدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة(**25**).

ومن ثم فهي تحمل ثقافة تغزو بها ثقافات ومجتمعات أخرى تؤدي إلى تخريب منظمات وقيم تشكل هوية مجتمعات هذه المنطـــقة، كالأصالة والخصوصية قوى التـــقيد بالماضي والقـــومية والمقاومة والجهاد بإحـــلال قيم أخرى تتوافق ومصالحها كالحداثـــة والمعـــاصرة وقوى التجديـــد والترويض بالعولمة والتغريب والعالمية والإرهاب، وهذا ما جسدته المذكرة التفصيلية لمبادرة (كولن باول) والتي تعتبر التعليم البيئة الرئيسية لتوليد الإرهاب وتشير إلى أن 82% من الإرهابيين ينتمون إلى الدول العربية، وتعتبر أن إصلاح التعليم بالمفهوم الأمريكي هو الدعامة الأولى لوأد الإرهاب (**26**).وهو ما أدى إلى بروز مظاهر التشكيك في هوية الانتماء إلى الأمة العربية لدى شعوب هذه المنطقة، وهو ما وقع قديما وحديثا عند ما تحدث بعض المصريين عن أنفسهم كمصريين فقط كما كان عقب اتفاقية كامب ديفيد، وحديث بعض العراقيين اليوم في ظل التطورات المستمرة منذ حرب العراق 2003 عن عراق ضد العروبة تكريسا لمنظورات سياسية تتجاهل الأبعاد التاريخية والثقافية لهذا البلد.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

إن الغرض من هذا التدافع على المنطقة العربية هو الحـــاق شلل بالوعي المنقـــذ والإرادة والقـــوة و تعطيل طاقات الإيمان بالمقاومة و هذا ما يتفق مع قول وزير الثقافة الفرنسي في مؤتمر المكسيك " إن هذا الشكل من أشكال الامبريالية المالية والفكرية لا يحتـــل الأرض، ولكـــن يصـــادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش " ، وهذا ما قاله الرئيس الأمريكي جورج بوش بعد حرب الخليج الثانية : إن القرن القادم سوف يشهد انتشار القيم وأنماط العيش والسلوك الأمريكي و في هذا نزوع استعمـــاري لغزو الآخرين ولمهاجمـــة الهويات الثقافيـــة والقوميـــة و فرض التبعيـــة عليها وإذابتها(27).

ولتجسيد هذه السياسات عملت قوى العولمة على دعم التسلل المتواصل للمفاهيم المغلوطة مستغلة أدوات الاتصال المتاحة لديها من جهة، واعادة تنمية واحياء نشاطات المستشرقين من جهة أخرى ففي القارة الأمريكية وحـــدها تشير التقارير إلى وجود عشرة آلاف مركـــز للبحث والدراســـة يتابـــع و يرصد كل ما يجري ليناقش مع صناع القرار لبناء الخطط ووضع الاستراتيجيات وتحديد وسائل التنفيذ لإعادة تشكيل العقل المسلم وإنجاب تلامذة مسلمين لممارسة دوره، والتقدم نحو الجامعات ومراكز الدراسات والإعلام والتربية، لذلك فعلماء الاجتماع والنفس والتربية هم الصورة الأحدث للمستشرقين.

وقد بلغت مؤلفاتهم في النصف الأخير من القرن العشرين ستين ألف كتاب ألفت في العقيدة وتاريخ الأدب العربي والتصوف والأخلاق وعلوم القرآن وغير ذلك وهي مشحونة بالكذب والطعن في الإسلام ومنها الموسوعات والمعاجم كدائرة المعارف الإسلامية والمعجم العربي اللاتيني وتاريخ الأدب العربي والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، إلى جانب إلقاء المحاضرات وعقد الندوات وإصدار المجلات الخاصة بالعالم الإسلامي ونشر المخطوطات التي تحمل الأفكار الضالة وعقد المؤتمرات الاستشراقية وتخريج المسلمين الذين يحملون الأفكار المعادية

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

واستخدامهم كمعاول هدم(28). وقد سهلت العولمة الرجوع إلى هذه المؤلفات والموسوعات عبر شبكات الإنترنت والبحث فيها، ورجوع الطلاب إلى مثل هذه الموسوعات والمراجع يؤدي إلى تسلل المفاهيم المنحرفة والمغلوطة، إلى جانب الطعن في القرآن ورسالة النبي الكريم والتشكيك في مكانة المرأة في الإسلام وإحياء النعرات والقوميات، مما يشكل تحديا للثقافة والتربية العربية(29).

أما الشكل الثاني من التحديات التي تمارسها العولمة على الهوية العربية فهو يتمثل في القدرة الإعلامية للـــدول والمنظمات الداعية لـــفرض ظاهرة العولمة بالعمل على استثمـــار منجزات ثورة الاتصالات والتقدم التقني والتكنولوجي في نشر ثقافة واحدة، و بقوالب محددة مسبقة الصنع عمودها الفكر الاستهلاكي الذي يحضر الرأي العام بشكل يجعله جاهز لتقبل قيم ثقافية واجتماعية عصرية أو هيكل اقتصادي جديد ومن خلال القيم المروج لها تبث المبادئ الثقافية الايديلوجية المستهدفة التي ستعمل بدورها على الحد من المناعة الوطنية أو القومية أو حتى الدينية لقبول هذا النظام الجديد (30). و هذا ما تروج له المحطات الفضائية العالمية فالإعلان أصبح سيد الموقف بمواده الإعلانية الذي تشكل الهاجس الذي تواجهه الأجيال العربية في التفكير والتعامل و حتى أسلوب الحياة من ملبس و مأكل قد وطأته وسائل العولمة فإذا كان الغذاء يشكل علاقة ارتباطية مع المجال السياسي فإن الملبس يشكل بصورة مضاعفة هذه العلاقة لأنه يبرز الصلات الخفية بين المادي والفكري على حد تعبير رضوان زيادة فبفضل هذه العلاقة يشكل الملبس أداة متميزة لبناء الهويات والتعاملات بينها "فالثوب يصنع الكاهن "كما يقول المثل الفرنسي ، و من هنا فإن العولمة تحرص على صناعة شخصية إنسانية شهوانية فاقدة لأية قيم إنسانية راسخة ذات هوس استهلاكي و فراغ عقلي ووجداني تفتقد لأية مناعة حيال عمليات التنميط الثقافي

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

للعولمة و تهدد أمن الهوية العربية ، وتحد من قدرتها في الصمود أمام تيارات الإغراق الإعلامي والثقافي والاستهلاكي التي تحاصرها من كل جانب (31) .

أما تحديات العولمة للهوية العربية على المستوى الاقتصادي فتتمثل في الآليات التي تستعمل من أجل شل بعض الدول العربية جزئيا أو كليا عن طريق عقوبات اقتصادية بهدف إزعاج المجتمع المستهدف و مضايقته و تدميره إلى أن يخضع وتتم السيطرة عليه، وهو ما حدث مع ليبيا والعراق ويحدث مع سوريا والسودان في إطار ما يسمى بنظرية التطويق .

ومن هنا فالعولمة بأدواتها القائمة على الإغراء وانتهاز الصعوبات التي ستعاني منها هذه الدول حيال المجتمع الدولي ستتدخل بإبراز مفاهيمها و قيمه الجديدة القائمة على حرية التجارة عبر الدول،والسوق المفتوحة والسموات المفتوحة، وشبكات المعلومات ، والطرق الدولية ، والربط الكهربائي بين الدول، وشبكات الاتصال المتوافقة والمعتمدة على الأقمار الصناعية إلى جانب بروز فكرة الخصخصة للمرافق الحيوية والإستراتيجية والشركات الكبرى التي تمثل كيان هذه الدول بعرضه في سوق العرض والطلب العالمي، و من هنا تحكم قبضتها عليها بإحلال الشركات المتعددة الجنسيات محل الشركات الوطنية التي تمثل هوية هذه المجتمعات (32) .

و هذا ما سينعكس أيضا على الجانب السياسي للهوية على اعتبار أن الوطن العربي يتكون من تركيبة اجتماعية متباينة من عرب وأكراد و بربر و طوائف متعددة من سنة و شيعة ومسيحيين كنتيجة للتقسيمات الاستعمارية التي حاولت صياغة تجمعات قبلية و عرقية و دينية في شكل أمم موحدة ، فمن الطبيعي أن تهتم الدول العربية بموضوع وحدتها غير أن هذه الوحدة غالبا ما استخدمت في إخفاء حقيقة وجود أقليات عرقية أو دينية، والادعاء بأن عدم وجود مشكلات من

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

شأنها أن تعطي إحساسا زائفا بالأمن سرعان ما يتحول هذا الإحساس تحت وطأة التوترات الاجتماعية التي تنشأ بين الأقـــليات والطوائف. فالعولمة بآلياتها من دون شك تمارس ضغطا على الهويات العربية مستغلة مشاكل هذه الأقليات لتحقيـــق بعض المكاسب الأمنيـــة والسياسية بحجة مبدأ حمايـــة الأقليات وحقـــوق الإنسان و تحرير المرأة و حرية التعبير، إلى جانب بعض المبادئ الأخرى المتداولة في هذا العصر كحماية الاستثمارات الأجنبية أو حماية البـــيئة و ترسيخ الديمقراطية والحكم الراشد، ولكن الحقيقة هو سعي هذه الدول إلى إيجاد معبر و منفذ تتمكن من خلاله فرض سياستها التي تتوافق ومصالحها وهو ما واقع مع بعض الدول العربية التي حاولت الحفاظ على وحدتها كـــسوريا ، فيما تعرضت بعض الدول الأخرى إلى التدخل المباشر كالعراق وغير المباشر كلبنان بواسطة المنظمات الدولية ، و دول أخرى لم يكن لها بد إلا ضرورة تكييف سياستها مع هذه التغيرات (33).

وعليه فإن الهوية في عصر العولمة أصبحت مرتبطة أشد الارتباط بالمستويات الثقافية والسيـــاسية والاقتصادية بحيث لا يمكن الحديث عن هوية عربية منفصلة عن هذه المستويات، لما لها من آثار مباشرة على هذا المكون وان تأمين الهوية العربية ينطلق من قدرة الدول العربية على فهم خصائص العولمة والتكيف مع آلياتها بالشكل الذي يحفظ لها هويتها و ينشط عملية التفاعل مع انجازاتها.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

5- مستقبل الهوية العربية في ظل تحديات العولمة :

إن النظر لمستقبل الهوية العربية في ظل تحديات العولمة كما يعبر عنه المفكر العربي برهان غليون ينبغي أن يكون من خلال إعادة تعريف الذات و مقاومة العولمة كجزء من منظومة عالميـــة ، و هذا يستدعي الاعتراف بقصور أنظمتنا الاجتماعية والثقافية و كسر آليات التبعية والانطلاق نحو العالمية بهدف القضاء على هامشيتنا التاريخية ، وان الاستســـلام والرفض للعولمة هو الثقافة المضادة لثقافة العولمة (34).

من هذا المنطلق فإن حتمية الإصلاح التعليمي والسياسي والاقتصادي والثقافي ضرورة ينبغي الإسراع فيها فإصلاح نظم سياسات التعليم والتكوين يمثل عنصرا حيويا في هذا الإطار على اعتبار أن العولمة موجهة في الأصل نحو كيان المواطن العربي و تستهدف أفكاره و قيمه ، و بالتالي إيجاد قوة بشرية مدربة و مؤهلة قادرة على استيعاب التطورات المرتبطة بظاهرة العولمة ، كما أن التعليم بمختلف أنواعه يشكل الدعامة الرئيسية لجهود تنمية الموارد البشرية لذا ينبغي إيلاؤه العناية بالتطوير والتحديث علـــى اعتبار أن التعليـــم يتقاطع مع العولمـــة في أكثـــر من موقع، فثـــورة المعلومـــات والاتصالات الحديثة بدأت بإحداث ثورة في أساليب التعليم والوسائل المستخدمة في الحصول عليه، ومن هنا فمفاتيح هذا الإصلاح تتوقف على ثلاثة عناصر أساسية كما يوردها الدكتور عبد الهادي الرفاعي واخرون، أولها إيلاء العناية اللازمة لجودة التعليم واقتصادياتها و مواءمته و مردوده على الفرد والمؤسسة والمجتمع ، ثانيها توسيع قاعدة المشاركة المجتمعية في شؤون التعليم لتشمل مؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني وبالتالي زيادة ادوار الجهات والمؤسسات غير الحكومية في المراقبة والمسألة ، و ثالثها استثمار تقنيات المعلومات والاتصالات

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الحديثة في مراحل التعليم بمختلف أنماطه بما يخدم التوجه نحو اقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة و هكذا يمكن مسايرة العولمة و حماية الهوية العربية (35).

كما أن للإعلام دورا كبيرا في مواجهة العولمة و حماية الهوية العربية، مما يتطلب تأهيل الموارد الإعلامية المتخصصة في معرفة الثورة الإعلامية التي تقودها قوى العولمة و معرفة الأساليب التي تستعملها هذه القوى من أجل فرض الهوية الخاصة بها، وبالتالي فإن الاطلاع على مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية يساهم في وضع برامج وخطط قادرة على مجابهة برامج العولمة الدعائية والإعلامية المضادة للقيم والتراث العربي.

هذا ويعتبر إصلاح المنظومة السياسية عاملا مساهما هو الأخر في درء المخاطر عن الهوية العربية وذلك بفتح مجال الممارسة السياسية و حرية التعبير وفتح دائرة المشاركة السياسية لكل المواطنين مهما كان انتماؤهما، وتطبيق مبدأ المواطنة، كما ينبغي على هذه الدول سن منطق سياسي رشيد في التعامل مع الأقليات والاعتراف بها بحيث ينبغي أن يستند إلى إقامة التوازن بين مصالح الوحدة الوطنية و حقوق هذه الأقليات، وبين التكامل و قبول التعددية الثقافية من ناحية أخرى ، و من ثم تحقيق هدف الشعوب العربيـــة في تحقيق وحدتهـــا و بالتالـــي تتشكل روح الانتماء والهوية، و لما لا نتحدث حينها على عوْربة الهويات العربية مادام الحديث على أمركة وأوْربة العالم.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

الخاتمة

إن الهوية باعتبارها محتوى ثقافيـــا متجدد الشكل والظهور ومطلبا مهما ينبغـــي النضال من أجلـــه و تنمية الإحساس به و تقوية العلاقة به وتمتينها بمحتويات تحركها من صورة جامدة إلى صورة عصرية ، وذلك من خلال استيعاب التغيرات والانجازات التي أتت بها العولمة و تكييفها وفق حاجاتنا ومصالحنا معترفينا بالأخطاء التي وقعنا فيها والتي أبعدتنا عن حركة التطور ومسار التحديث باتجاه التغريب بفعل التواطؤ غير المعلن لبعض القوى الوطنية والمثقفة ، مما جعل البيئة الثقافية العربية أسيرة الفكر التقليدي الذي يعيد تجديد نفسه باستمرار فيمنع حركة التحديث من تحقيق غايتها بالتحول إلى حداثة مكتملة ، غير قادرة على تجاوز تناقضاتها بالحوار والتسامح الذي يميز هوية المجتمعات العربية . فإذا كان التجديد كما في الداخل ضروري فإن التفاعل مع عوامل التقدم الخارجية أشد إلحاحا و لا تجديد بدونه، لأن الحداثة التي نطالب بممارستها والإفادة منها هي الحداثة الكونية ، أما التعلق بحداثة خاصة بنا فهو فهم من الأوهام(35).

و حتى نتعايش مع العولمة علينا أن نكون مستعديـــن و جاهزين بحيث ينبغي تفعيل عناصر هويـــتنا واثرائها بالانجازات الايجابية للعولمة وان نحذر من المفاهيم الخاطئة للهوية التي تعيدنا إلى سابق عهدنا، وذلك بتبني موقف تربوي و سياسي موحد قادر على مواجهة هذه الضغوطات والتدخـــلات و ذلك بتحصين و تقوية الثقافة العربية والاهتمام باللغة العربية باعتبارها وعاء ثقافي وهوية هذه الأمة، إلى جانب الاهتمام بإصلاح المنـــاهج والتعليمـــة و تطويرها حتى ننمي ثقة الأمـــــة بنفســـها و نستطيع تأسيس مبدإ الانفتاح الواعي والتفكير الناقد ، واخيرا التهيئة العقلانية والرشيدة لوسائلنا الإعلامية بما يخدم قضايانا الوطنية .

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

المراجع

1- طه مصطفى محمد ، "الهوية بين الشكل والمضمون " مجلة التسامح ، عدد 4 ، خريف 1424 /2004، سلطنة عمان ، ص 187.

2- الرفاعي عبد الهادي ، عامر وليد ، ذيب علي ، "العولمة و بعض الآثار الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عنها " ، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة العلوم القانونية والاقتصادية ، مجلد 27 ،ع 1 ، دمشق ،2005 ، ص200.

3- طه مصطفى محمد ، مرجع سابق ، ص 189.

4- Taylor ,C . les sources du moi : la formation de l'identité moderne , édition 02 ; éditeur boréal , paris ,2003 ,p111.

5- القاضي نبيل ، الهجرة والاغتراب ،مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت،1999، ص 9،10.

6- - Levi straus,C., l'identité ,Séminaire de collège de France , édition 03 , presse universitaire de France .paris .1995. p65

7- كليزون .ب ،" تحديد مفهوم الهوية : تأريخ دلالي "، مجلة التاريخ الأمريكي ، ترجمة عربية ، عدد4 ، مارس 1983 ، ص36.

8- Goffman ,Erving , Note et Identités social , édition minuit ,paris, 1996,p160.

9 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مادة هوية، ط دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1994

10-زكي علي حسين، مفهوم الهوية بين الثبات والتحول ،www.scribd.com **18/02/2009**.

11- السيد رضوان ، مسألة الحضارة العربية والعلاقة بين الحضارات لدى المثقفين العرب في الأزمنة الحديثة في الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح السياسة الدولية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،2004، ص125.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

12- الرقب صالح ، العولمة ، مكتبة الطالب الجامعي الجامعة الإسلامية ،2003، ص.26

14- محمد بن نصر ،" التحدي الثقافي في القرن الحادي والعشرين " – ورقة عمل – مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، عدد 20 ، طرابلس ليبيا ، 2003، ص47.

15- الجابري محمد عابد ، "في مفهوم العولمة " ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ع 2 ، بيروت ، 1998، ص.61

16- حنفي، حسن والعظم، جلال صادق ، ما العولمة؟ حوارات لقرن جديد، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق .2002

17- ضاهر مسعود ، "الذات و تحديات ثقافة الأخر في عصر العولمة "، مجلة التسامح ، عدد2، ربيع 1423/ سلطنة عمان، 2003، ص .96

18- غربي علي ، " العولمة والخصوصية الثقافية " ، مجلة الباحث الاجتماعي ، علم اجتماع ، جامعة منتوري قسنطينة ، عدد 2، سبتمبر 1999، ص.13

19- الجناحي حبيب ، العولمة والفكر العربي المعاصر ، دار الشروق ،القاهرة ،2002، ص 88

20- ادريس شيخ جعفر ، العولمة و صراع الحضارات /20/02/2009.www.scribd.com

21- الزماني زيد بن محمد ، الموقف من العولمة ، /20/02/2009.www.scribd.com

22- يعقوب سعيد ، " الصهيونية والعولمة " ، مجلة الفكر السياسي عدد 16، 2002 ، ص264.

23- Hemassi .M. S, une approche de la problématique d'identité : le Maghreb arabe contemporaine, édition harmattan .paris.2004,p125.

24- شحاتة حسن: مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2004 ، ص191.

Please purchase PDFcamp Printer on http://www.verypdf.com/ to remove this watermark.

25- الجابري محمد عابد ، "العولمة والهوية الثقافية"، المستقبل العربي، العدد 228، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،، فيفري 1998، ص 18-19.

26- عمار حامد ، الحادي عشر من سبتمبر 2001 وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 2004 ص107-108.

27-bayort, J.F, l'illusion identitaire, édition Foyard, paris,1996,p165.

28- الرقب صالح ، واقعنا المعاصر والغزوالفكري، ط6، الجامعة الإسلامية، مكتبة الطالب الجامعي، غزة، 2004. ص 56-58.

29- حسنة عمر عبيد ، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض ،1992، ص 19.

30- غرسان علي عقلة ، "العولمة والثقافة " ، مجلة الفكر السياسي ، عدد 4، 1999، ص224.

31- الرفاعي عبد الهادي واخرون ، مرجع سابق ، ص203.

32- رضوان جودة زيادة، أزمة الهوية بين السياسات القومية و تحول دور الدولة، مجلة إسلاميات المعرفة، عدد 40، 2005.

33- خالد أبوالفتوح، العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة،www.scribd.com

32- المرجع نفسه.

33- برهان غليون، عولمة الثقافة و ثقافة العولمة، مجلة المركز العربي الثقافي، 1998، ص 61.

34- الرفاعي عبد الهادي واخرون، مرجع سابق، ص.212

35- الجنحاني الحبيب ، مرجع سابق، ص 90.